حقيقة خروج لشاعر أبي العتاهية (ت 210 هـ.) عن العروض العربي

م.د. غزي درع فاضل عباس النُّعيمي
كلية اليرموك الجامعة
dr.qhazi.draa@al-yarmok.edu.iq

الملخص

شاع على نحو واسع في كتب العروض، وكتب النقد القديمة ما يشير إلى أن أبا العتاهية كان يخرج عن العروض فيما كان يكتبه من شعر، ولم يكن أبو العتاهية ينكر خروجه عن العروض، بل كان يقول إنه أكبر من العروض، وإنه أسنُّ من العروض، بل إنه أسبق من العروض، ولكنَّنا لو دققنا في أمر خروج أبي العتاهية عن العروض لوجدنا أنه لم يخرج عنه، فجميع الأبيات الشعرية التي قيل عنه إنه خرج فيها عن العروض، كلت ملتزمة بالعروض الخليلي، ولم تحد عنه، وقد ثبت أن العروضيين لم يقوموا بوا جبهم في التحقيق والتدقيق في الاتهام التي وجِه إلى أبي العتاهية، أما النقاد، فظلوا يكرِرون ما قاله السابقون دون تمحيص.

الكلمات المفتاحية: أبو العتاهية، الخروج عن العروض، النماذج الشعرية.

The Reality of Abu Al-Ataheya's (d. 210 AH) Departure from Classical Arabic Prosody

Dr. Ghazzay Derea Fadhil Abbas Al-Nuairi
Al-yarmok University College

dr.qhazi.draa@al-yarmok.edu.iq

Abstract

It was widely circulated in the ancient books of prosody and criticism that Abu Al-Ataheya used to deviate from the prosody in the poetry he wrote. Abu Al-Ataheya did not deny that he departed from the prosody. Rather, he used to say that it was greater than the prosody, and that it was older than the prosody. It is earlier than the accidents, but if we looked closely at the matter of Abu Al-Ataheya's departure from the accidents, we would find that he did not depart from it. All the poetic verses in which it was said

about him that he departed from the prosody were committed to Al-Khalili's prosody, and did not deviate from him. It has been proven that the prosodyists did not do their duty to investigate and scrutinize the accusation directed at Abu Al-Ataheya, while the critics continued to repeat what the predecessors said without scrutiny.

Keywords: Abu Al-Ataheya, departure from prosody, poetic models.

المقدمة

يمكن القول دون تردد إن الشاعر أبا العتاهية كان جريئا في الإفصاح عن آرائه العروضية، وكان لا يخشى في إفصاحه لومة لائم، وكان يقول حين يتعرَّض إلى المساءلة حول خروجه عن العروض الخليلي: أنا أكبر من العروض، وقد قادته جرأته المستندة إلى شاعريته الفذة، وقدرته العروضية الباهرة إلى المضي قدما في اختياره بحور الشعرية، ومن بينها البحور المهملة التي لم يستعملها غيره من الشعراء في زمانه، وإذا كانت الأكثرية من النقاد والعروضيين قد أخذت على أبي العتاهية خروجه عن العروض، من غير أن يدقّقوا في حقيقة هذا الخروج، فإن هناك في الوقت ذاته العديد من النقاد، والعروضيين الذين عدَّوا ما قام به بمثابة التجديد في البحور الشعرية، وموسيقى الشعر العربي.

ويسعى هذا البحث برؤية الوصف التحليلي إلى الإعلان عن إخراج أبي العتاهية من دائرة اتهامه بالخروج عن العروض العربي، ودفع تهمة الخروج التي لم يكن إطلاقها عليه موفقاً، وإثبات تلك عروضياً، بالاستعانة بالتقطيع الشعري للأبيات، والمقطوعات الشعرية التي التفّت عليها تهمة الخروج عن العروض، والقيام بنسبتها إلى بحورها الشعرية الحقيقية، وقد تضمن البحث أربعة مباحث، هي على التوالي: أبو العتاهية وشعره وشاعريته، عن حقيقة خروج أبي العتاهية عن العروض، النماذج الشعرية، قصيدتان لأبي العتاهية في دائرة الخروج عن العروض.

لقد أعطى أبو العتاهية لنفسه الحرية في التعامل مع أساس مهم من أسس الشعر ألا هو العروض الشعري، وهذه الحرية نابعة من معرفته التامة بالعروض الشعري، وبموسيقى الشعر، وليس نزقاً أو لعباً، ويمكن القول إن أبا العتاهية كان يتحرك في مساحات التجديد العروضي والموسيقي، وكان من المهم لديه أن يكون الشعر قادراً على تقديم المعاني بما يناسبها من إيقاع شعري، من غير أن يكون مصغياً لصيحات النقاد والعروضيين الذين رفعوا أيديهم في وجه شعره، واتهموه بالخروج عن العروض الخليلي، من غير أن يكونوا متأكّدين مما يقولون.

المبحث الأول

أبو العتاهية وشعره وشاعريَّته

إن أبا العتاهية: هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العيني العنزي، ولد في عين التمر ونشأ في الكوفة وسكن بغداد وتوفي فيها، وكان يبيع الجرار، فقيل له: الجرار، كنيته (أبو إسحاق)، و(أبو العتاهية) كنية غلبت عليه دون اسمه وكنيته، ويرى أبو الفتح عثمان بن جني(ت392 هـ.) أن ((العتاهية من التعتُّه، وهو التحسُّن والتزيُّن))[1].

ويروي الشيخ عبدالرحيم بن أحمد العباسي (ت963 هـ.) أن ((المهدي قال له يوماً: أنت إنسان متعتّه متحلّق، فاستوت له من ذلك كنيته، ويُقال للرجلَ المتحلّق عتاهية))[2].

أما شعر أبي العتاهية فكان سهل الألفاظ ليِّن العبارات، وكان أبو العتاهية من الشعراء المولّدين من طبقة بشار بن برد وأبي نواس وأضرابهما، وكان سريع الخطر، ويتميز بسلاسة الطبع، وقد قيل لسلم الخاسر (ت186 هـ.): ((من أشعر الناس؟، فقال: إن شئت أخبرتك بأشعر الجنِّ والإنس، فقلت: أنا أسألك عن الإنس، فإن زدتني الجنَّ فقد أحسنت، فقال أشعرهم الذي قال:

سكَنٌ يبقى لَه سكَنٌ ما بهذا يؤذِنُ الزَّمَن

قال: والشعر لأبي العتاهية))[3].

وقال عنه ابن قتيبة الدينوري (ت276 هـ.) إنه ((كان أحد المطبوعين، وممن يكاد يكون كلامه كله شعرا))[4]، ويذكر أبو فرج الأصفهاني (ت 356 هـ.) أنه ((قيل لأبي العتاهية: كيف تقول الشعر؟، قال: ما أردته قط إلا مثُل لي، فأقول ما أريد وأترك ما لا أريد))[5]، وكان يقول: ((لو شئت أن أجعل كل كلامي شعرا لفعلت))[6]، وكان ((يقال: أطبع الناس بشار والسيد وأبو العتاهية))[7]، أي بشار بن برد والسيد الحميري.

وذكره صلاح الدين الصفي (ت 764 هـ.) في كتابه (الوافي بالوفيات) وقال عنه: ((لُقِّب أبا العتاهية لاضطراب فيه، وقيل: بل كان يحب الخلاعة والمجون، فلُقِّب بذلك لعتوه، وكان أبو نواس يعظِّمه

[1] المبهج في تفسير أسماء ديوان الحماسة، أبو الفتح عثمان بن جني، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2000م: 80

[2] معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي، حققه وعلق على حواشيه وصنع فهارسه، محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة مروان العطية، عـــــالم الكتب، بيروت، 1947م: 2/ 285.

[3] الأغاني، أبو فرج الأصفهانـــــي، تحقيق: د. إحسان عباس، د. إبراهيم السعالين، والأستاذ بكر عباس، دار صاد، بيروت، ط3، 2008م: 4 /12

[4] الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1983م: 2/ 791.

[5] الأغاني، أبو فرج الأصفهاني: 4 /13

[6] المصدر نفسه: 4/ 13.

[7] المصدر نفسه: 4/ 5

ويضع له ويقول: والله ما رأيته إلا أني أرضيٌّ وأنه سماويٌّ))[8].

ويقول الدكتور نظم رشيد في كتابه (الأدب العربي في العصر العباسي) عن شعره:

((إن شعر أبي العتاهية في كل أغراضه، سهل وواضح وسلس، ولا نعثر فيه على مظاهر الصنعة والزخرف))[9]، إنه شاعر مطبوع وله القدرة على قول كل ما يريد، ويمثل له الشعر في كل ما يريده، وقد كتب في الأغراض الشعرية الآتية: الغزل، الهجاء، الوصف، المدح، فضلا عن شعره في الزهد وفي الموعظة والحكمة.

ولو راجعنا شعر أبى العتاهية كما جاء في القرص المدمج (الموسوعة الشعرية/3)[*10]، وتأملنا في الإحصائيات التي ذكرها تلك الموسوعة، لخرجنا بالنتائج الآتية:

1 . إن أبا العتاهية استعمل في كتابة شعره (14) بحراً من بحور العروض العربي، والبحران الوحيدان اللذان لم يستعملهما كانا (المقتضب) و(المضارع)، وهذان البحران لم يسبق أن استعملهما أحد من الشعراء قبل العصر العباسي، أما في العصر العباسي، فكان استعمالهما حديثاً، وكان كل من أبي نواس وأبي بكر الشبلي أول شاعرين استعملا (المقتضب)، فيما كان أبو نواس وأبو المشغف عاذر بن شاكر وأبو الجهم أحمد بن سيف الأنباري أول ثلاثة شعراء استعملوا (المضارع)، ومما تقدَّم يتبين لنا أن أبا العتاهية استخدم جميع بحور الشعر العربي التي كانت معروفة في زمانه، وهو في ذلك إنما كان يسعى إلى التنويع الموسيقي الواسع في قصائده، ويعمل على توسيع قاعدة الإيقاع الشعري سعياً نحو الإبداع والابتكار، وكسر أعمدة الرتابة والتكرار، وهو في ذلك يقف إلى جانب كبار شعراء العصر العباسي، من أمثال: بشار بن برد (ت168 هـ.) وأبي نواس (ت198 هـ.) وأبى تمام (ت231 هـ.)، وغيرهم.

2. لو أخذنا بالحسبان أن العرب كانت تسمي البيت الواحد (مفرداً أو يتيماً)، والبيتين (نتفة)، والثلاثة إلى الستة (قطعة)، والسبعة فصاعدا (قصيدة)[11]، لتوصلنا إلى أن أبا العتاهية كتب البيت الأبيات المفردة أو اليتيمة والنُّف والقطع والقصائد، وذلك كما يأتي: (75) بيتاً مفرداً أو يتيماً، و(128) نتفة، كان مجموع أبياتها (256) بيتاً، و(285) قطعة كان مجموع أبياتها (1208) أبيات، و(267) قصيدة كان

[8] الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2000م: 9/ 113.

[9] الأدب العربي في العصر العباسي، د. نـاظم رشيد، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1986م: 99

[*] الموسوعة الشعرية /3: وهي قرص مدمج صدر عن المجمع الثقافي في أبـــو ظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة عام 2003م

[10] ميزان الذهب في صناعة شعر العرب: 25.

[11] الأغاني: 4/ 13

مجموع أبياتها (4017) بيتاً، وهكذا يكون مجموع الأبيات الشعرية التي كتبها (5556) بيتاً.

المبحث الثاني

عن حقيقة خروج أبي العتاهية عن العروض

لو بحثنا في كتب النقد والعروض عما قيل عن خروج أبي العتاهية على العروض، لتجمَّعت أمامنا الكثير من الآراء والإشارات النقدية حول هذا الموضوع، ومما تناقلته تلك الكتب من أقوال، ما جاء في كتاب(الأغاني)، وهو: ((قال محمد بن أبي العتاهية: سئل أبي: هل تعرف العروض؟، فقال: أنا أكبر من العروض، وله أوزان لا تدخل في العروض))[12]، وما جاء في كتاب (التمثيل والمحاضرة) لأبي منصور الثعالبي (ت429 هـ.)، وهو: ((قيل لأبي العتاهية: قد خرجت عن العروض في قولك:

عتْبَ ما للخيالِ خبِّريني ومالي

فقال: أنا أسنُّ من العروض))[13].

وجاء في كتاب (العيون الغامزة على خبايا الرامزة) لبدر الدين الدماميني (ت827 هـ.): ((استدرك بعض العروضيين لهذا البحر ... القصود هنا: البحر الخفيف .. عروضاً مجزوءة مقصورة مخبونة، وضربها مثلها، وجعل منها قول أبي العتاهية:

عَتْبَ ما للخيالِ خبِّريني ومالي

ويحكى أن أبا العتاهية لما قال أبياته التي هذا أولها، قيل له: خرجت عن العروض، فقال: أنا سبقت العروض))[14]، والخبن كما يراه العروضيون هو حذف الثاني الساكن من التفعيلة، أما القصر فهو عندهم إسقاط ثاني السبب الخفيف الأخير في التفعيلة[15].

وظلت كلمات أبي العتاهية (أنا أسنُّ من العروض، أنا أكبر من العروض، أنا سبقت العروض)، تتردَّد على ألسنة النقاد جيلاً بعد جيل حتى يومنا هذا، من دون تمحيص، وظل (اللاحق) مكتفيا بالنقل عن (السابق) دون أن يكون له رأي فيما ينقل.

ومن اللافت للانتباه أن يلقس ابن قتيبة الدينوري في كتابه (الشعر والشعراء) العذر لأبي العتاهية في

[12] التمثيل والمحاضرة، أبو منصور عبد الله بن محمد الثعالبي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، 1983م: 186

[13] العيون الغامزة على خبايا الرامزة، بدر الدين الدماميني، تحقيق: الحساني حسن عبدالله، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1994م: 206.

[14] ينظر: فن التقطيع الشعري والقافية، د. صفاء خلوصي، منشورات مكتبة المثنى ببغداد، الطبعة الخامسة منقحة ومزيدة، 1977م: 207 و208

[15] الشعر والشعراء: 2/ 791

خروج . . . . . ه على العروض، فيقول: ((كان لسرعته وسهولة الشعر عليه، ربما قال شعرا موزونا يخرج به عن أعاريض الشعر وأوزان العرب))[16]، مضيفا: أن أبا العتاهية ((قعد يوما عند قصّار، فسمع صوت المدقة، فحكى ذلك في ألفاظ شعره،

وهو عدة أبيات فيها:

للمنونِ دائرا تٌ يُدِرْنَ صرفَها
هنَّ ينتقينَنا واحدا فواحد . . . . . دا

وقال أيضا:

عتبَ ما للخيالِ خبِّريني
وما لـ . . . . . ي
لا أراه أتانـ . . . . . ي زائرا مذ
ليـ . . . . . لي
لو رآني صديقي رقَّ لي أو رثى لي
أو يرانـي عدوي لان من سوءِ حالي))[17].

وقد ذكر أبو العلاء المعري (ت449 هـ.) في كتابه (رسالة الصاهل والشاحج) البيتين الآتيين لأبي العتاهية[18]:

عتْبَ ما للخيالِ خبِّريني ومالي
ما له لم يزرني طارقا مذ ليالي

وهذان البيتان كما رأينا قد ذكرهما أبو قتيبة الدينوري، مع اختلاف طفيف في رواية البيت الثاني، وقد علقَّ أبو العلاء على هذين البيتين قائلاً: ((وهذا من أضعف أوزان الشعر وأركّها، ولم تستعمله الجاهلية، ولا الفحول في الإسلام، وإنما عمله إسماعيل بن القاسم على هيئة اللعب))[19]، وقد ذكر الدكتور صفاء خلوصي في كتابه (التقطيع الشعري والقافية)[20] البيتين الآتيين لأبي العتاهية، وهما:

للمنونِ دائـ.را تٌ يُدِرْنَ صرفَها
فتراها تنتقينا واحدا فواحد . . . . . دا

وبيَّن أن وزن البيتين السابقين هو كما يأتي:

فاعلاتُ فا عـ . . . . . لا فاعلاتُ فـ . . اعلا
فعلاتن فاعلاتن فاعلاتُ فاعلا[21]

ونبين هنا أن الدكتور خلوصي جعل صدر البيت الثاني (فتراها تنتقينا) بدلا من (هنَّ ينتقيننا) في الروايات المختلفة لهذين البيتين.

وسمى الدكتور خلوصي هذا الوزن بـ (وزن مدق القصّار)، وذكر هذين البيتين في موضـ . . . وع (أوزان المولدين وقوافيهم) جاعلاً من (وزن مدق القصار) الوزن السابع من أوزان

[16] المصدر نفسه: 2/ 270 ـ 792

[17] رسالة الصاهل والشاحج، أبو العلاء المعري، نص محقق مع مدخل تاريخي وموضوعي، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف، مصر، ط2، 1984م: 585.

[18] المصدر نفسه: 586.

[19] فن التقطيع الشعري والقافية: 196

[20] ينظر: المصدر نفسه: 379

[21] ينظر: المصدر نفسه: 379

المولدين، وهي التي تعارف العروضيون على تسميتها بالبحور المهملة، وهو في هذا اختلف عن جميع من ذكر البيتين السابقين[21]، وقال عنهما: إنهما ((محاكاة لصوت المدق عند القصارين، فهما ليسا من أي وزن من أوزان الخليل، ولا مقلوب أي منها...وأكثر الظن أنها من ألاعيب العروضيين، وأنها ليست أكثر من أوزان ابتدعها علماء العروض، فلم تلق استحسانا من لدن الشعراء، فأُهملت مع ما أُهمل من أوزان أخرى نجدها في دوائر الخليل الخمس))[22].

وقد ذكر السيد أحمد الهاشمي في كتابه (ميزان الذهب في صناعة شعر العرب) وهو يتحدث عن الشعراء المولدين: ((ومن الأوزان التي استحدثوها ما فعله أبو العتاهية، فقد ذكر أنه نظم على أوزان لا توافق ما استنبطه الخليل، إذ جلس يوما عند قصار، فسمع صوت المدق، فحكى وزنه في شعر، وهو:

للمنونِ دا ئـ . . .را تٌ يدرن صرفَها
فتراها تنتقيـ نـا واحدا فوا حـ . . . . .دا

فلما انتقد في هذا قال: أنا أكبر من العروض))[23]، وما ذكره السيد أحمد الهاشمي هنا، ذكره نصا محمود مصطفى في كتابه (أهدى سبيل إلى علْمَي الخليل العروض والقافية) من دون الإشارة إلى المصدر[24]

ولا بد لمن يتناول موضوع خروج أبي العتاهية على العروض من أن يشير إلى قول عبدالله بن المعتز (ت296 هـ) في كتابه (طبقات الشعراء) في هذا الشأن، والذي جاء فيه: ((كان أبو العتاهية لسهولة شعره وجـ . . . . . ودة طبعه فيه، ربما قال شعراً موزوناً ليس من الأعاريض المعروفة، وكان يلعب بالشعر لعبا ويأخذ كيف شاء))[25] ذاكرا أن أبا العتاهية ((جلس يوماً إلى قصار فسمع صوت الكَبِنْ** ،فقال باقتدار شعراً على إيقاعه، منه هذا البيت:

المنون مفنياتٌ واحدا فواحدا))[26]،

وهذا البيت يختلف عن البيتين اللتين أوردناهما سابقا بالصيغة الآتية:

للمنونِ دا ئـ . . .را تٌ يدرن صرفَها

---

[22] المصدر نفسه: 379 ـ380.

[23] ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، السيد أحمد الهاشمي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2016م: 128

[24] ينظر: أهدى سبيل إلى علْمَي الخليل العروض والقافية، محمود مصطفى، شرح وتحقيق: سعيد محمد اللحام، عالم الكتاب، بيروت، لبنان، 1996م: 136.

[25] طبقات الشعراء ، ابن المعتز ، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م: 229 .

** الكَبِنْ: مدقة القصّارين

[26] المصدر نفسه: 229.

فتراها تنتقي ذا واحدا فوا حـ . . . .دا

المبحث الثالث

النماذج الشعرية

والآن لو بحثنا عن النماذج الشعرية التي كتبها أبو العتاهية والتي وصفت بأنها تشكّل خروجاً عن العروض، لوجدنا أنها كلت ثلاثة نماذج، وهي:

. . . . النموذج الأول: ويتألف من بيتين هما:

((همُّ القاضي بيتٌ يطـرب

قال القاضي لما عوتـ . ـب

مـ . . . ..ا في الدنيا إلا مـ ..نتب

هذا عذرُ القاضي واقِـلبْ))[27]

ولمعرفة وزن هذين البيتين، نقوم بكتابتهما كتابة عروضية وتقطيعهما شعريا، وكالآتي:

هممْ لـْ / .قاضي / بيتنْ / يطْرِبْ

فعلُنْ / فعلُنْ / فعلُنْ / فعلُنْ

قالَ لـْ / .قاضي / لمما / عُوتِبْ

فَعُلُنْ / فعلُنْ / فعلُنْ / فعلُنْ

ما فدْ / دُنْيا / إلْلا / مُنْتبْ

فعلُنْ / فعلُنْ / فعلُنْ / فعلُنْ

هاذا / عذر لـ / .قاضي / وَقْبِلْ

فعلُنْ / فعلُنْ / فعلُنْ / فعلُنْ

إذن فإن البيتين هما من البحر (المتدارك)، وقد أُصيبت جميع تفاعيلهما بـ. (الخبن)، وبه تصبح تفعيلة (فأعلن) بعد الخبن: (فعلن).

وقد ذكر الدكتور صفاء خلوصي في كتابه . . . .ه (فن التقطيع الشعري والقافية) هذين البيتين عندما كان يتحدث عن البحر (المتدارك) وقـ . . . .ام بتقطيعهما[28]، مبيناً أنهما من النوع الأول من (المتدارك) وقد شُعثت تفاعيله كلها، أي حذف رأس الوتد المجموع في تفعيلة (فأعلن)، وأن هـ . . . .ذا الوزن يسمى بـ. (ضرب الناقوس) أو (دق الناقوس) أو (قطر الميزاب)، موضحا أن ((القصـ . . . .ود بالقطر الأخـ . . . .ير أن لفظة (عذر) تصبح عند القلب والتصحيف (غدر)، ولم يكن هذا الوزن معروفاً من قبل، وقد اخترعه أبو العتاهية، فأخذ عنه، وسُمّي بدق الناقوس))[29].

[27] ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1986م: 67

[28] ينظر: فن التقطيع الشعري والقافية: 196

[29] المصدر نفسه: 196

ونتوقف هنا لنشير إلى حقيقة مهمة هي أن البحر (المتدارك) لم يعرف إلا في العصر العباسي، على يد شاعرين هما: الأول: أبو العتاهية، التي استخدمه في كتابة البيتين اللذين ذكرناهما، ولم يكتب غيرهما، والثاني: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175 هـ.) واضع علم العروض، التي استخدمه في كتابة نتفة (بيتين) وقطعة من ثلاثة أبيات، أي أن مجموع ما كتبه كان خمسة أبيات فقط، وهذا ما ذكره الوزير جمال الدين أبو الحسن القفطي (ت624 هـ.) في كتابه (إنباه الرواة على أنباء النحاة)، إذ قال: ((وللخليل بن أحمد قصيدة على (فعَلن فعَلن) ثلاثة متحركات وسكن، وله قصيدة أخرى على (فعلن فعلن) متحرك وسكن، فالتي على ثلاثة متحركات وسكن قصيدته التي فيها:

سئلوا قأ بـ . . . .وا فلقد بخلوا فلبئس لعمرك ما فعلوا

أبكيت على طللٍ طر بـ ..اً فشجاك وأحز نـ . ..ك الطلل

والتي على (فعلن) ساكنة العين قوله:

هذا عمرو يستعفي مـ . . . ن

زيدٍ عند الفضل القا ضـ . ..ي

فانهوا عمرا إني أخشى صولَ الليث العلي الماضي

ليس المرء الحامي أذ فـ ..ا مثل المرءِ الضيمِ الرا ضـ ..ي))[30]

. . . . **النموذج الثاني:** ويتألف من أربعة أبيات هي[31]:

عتب ما للخيـ . . . . ..الِ خبِّريني

وما لـ . . . .ي

لا أراه أتا نـ . . . .ي زائرا

مذ ليـ . . . .الي

لو رآ نـ . . . . ..ي صديقي رقَّ لي أو رثـ ..ى لي

أو يرا نـ . . . .ي عدوّي لان مـ ..نْ سوءِ حالي

ولو قمنا بكتابة هذه الأبيات كتابة عروضية وأجرينا التقطيع الشعري لها، فإننا سنتوصل إلى ما يأتي:

عتب مالـ / خيالي خبِّريني / وما لـ . ..ي

فاعلاتن / متفعِ ل فاعلاتن / متفعِ ل

لا أراهو / أتا نـي زائرن / مذ ليا لـي

فاعلاتن / متفعِ ل فاعلاتن / متفعِ ل

لو رأأني / صديقي رقْ لي أو/ رثى لـي

[30] إنباه الرُّواة على أنباء النُّحاة، الوزير جمال الدين أبو الحسن القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيـــم، دار الفكر العربي ـ القاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت، ط1، 1986م:377/1.

[31] ينظر: رسالة الصاهل والشاحج: 585

فاعلاتن / متفعِ ل فاعلاتن / متفعِ ل
أو يراني / عدووِي لانَ من سُوْء حا لـ-ي
فاعلاتن / متفعِ ل فاعلاتن / متفعِ ل

إذن فان وزن هذه الأبيات هو:

فاعلاتن متفعِ ل فاعلاتن متفعِ ل

وهذا هو مجزوء الخفيف، وقد جاءت العروض فيه مخبونة مقصورة، وكذلك الضرب، وبالخبن فإن مستفعِ لن تصبح: متفْعِ لُن، وبالقصر فإن مستفعِ لن تصبح: مستفعِ ل، وعندما تكون (مستفعِ لن) مخبونة مقصورة، فإنها تصبح (متفعِ ل).

والأبيات الأربعة هذه جاءت جميعها في (الموسوعة الشعرية/3)، التي بيَّنت أن وزنها هو (مجزوء الخفيف) من غير الدخول في التفاصيل التي دخلنا فيها.

ولو عدنا إلى هذه الأبيات، لوجدنا أننا بإمكاننا تقطيعها شعريا بطريقة ثانية، وكما يأتي:

عتب ما / للخيالي خبِبر يـ / .ـني ومالي
فاعلن / فاعلاتن فاعلن / فاعلاتن
لا أرا / هو أتاني زائرن / مذ ليالي
فاعلن / فاعلاتن فاعلن / فاعلاتن
لو رأأ / ني صديقي رقْق لي/ أو رثى لي
فاعلن / فاعلاتن فاعلن / فاعلاتن
أو يرا / ني عدووِي لانَ من/ سوءِ حالي
فاعلن / فاعلاتن فاعلن / فاعلاتن

وهذا يعني أن وزن هذه الأبيات هو (شطور الممتد)، و(الممتد) من البحور المهملة، وأصله: (فاعلن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن) في صدر البيت، ومثلها في عجزه، ولطريقة الثانية هذه نهب إليها الدكتور شوقي ضيف، فقد قال: ((فاعلن فاعلاتن مرتين، وهو عكس المديد))[32].

. . . . .. النموذج الثلث: ويتألف من البيتين اللذين سبقت الإشارة إليهما، وهما:

للمنونِ دائرا تٌ يُدْرنَ صرفَها
هنَّ ينتقيذ نـا واحدا فوا حـ . . . .دا

ولو قمنا بكتابة هذين البيتين كتابة عروضية وقطَّعناهما عروضياً، لتوصلنا إلى ما يأتي:

للمنونِ / دا ئـرا تن يُدْرنَ / صرفها
فاعلاتِ / فاعـلن فاعلاتِ / فاعلن
هُنْ ينْ تـَ-/ .قيننا واحدنْ فـ / .واحدنْ
فاعلاتَ / فاعلنْ فاعلاتَ / فاعلنْ

إذن فان وزن البيتين السابقين هو (مجزوء الرمل)، وقد جاءت عروضه محذوفة وضربه محذوفا أيضا، والحذف هو: إسقاط السبب الخفيف الأخير . ..ر من التفعيلة(فتصبح تفعيلة فاعلاتن بعد الحذف فاعلا).

[32] العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة عشرة، د.ت: 196

ولو نظرنا إلى البيتين السابقين نظرة تدقيق وتمحيص، لوجد ن . . . .ا أن قافية البيت الأول تختلف عن قافية البيت الثاني، فقافية . . . . . .ة البيت الأول هي (الفاء) المتصلة بهاء الوصل وألف الخروج (صرفها)، أما قافية البيت الثاني فهي (الدال) المتصلة بحرف الوصل وهو الألف (فواحدا)، وهذا يعني دون أدنى شك، أن البيتين لا يمكن أن يردا متتابعين، بسبب الاختلاف في القافية، أي أنهما لا يشكّلان (نتفة)، بل هما . . . . . .ا بيتان مفردان، وحسنا فعلت

(الموسوعة الشعرية/3) حين عاملتهما على أساس أن كلا منهما بيت مفرد لا علاقة له بالبيت الآخر، يجمعهما الوزن الواحد وتفرق بينهما القافية المختلفة لكل منهما.

وقد درس الدكتور فوزي سعد عيسى في كتابه (العروض العربي ومحاولات التطوير والتجديد فيه) ما سماه بـ (محاولات أبي العتاهية)، ومن هذه (المحاولات) البيتين اللذين ذكرناهما في النموذج الثالث، وقال عنهما: ((وقد زعم ابن قتيبة أن هذا المثال يخرج عن أوزان العرب، وإن كنا نرى أنه لا يخرج عن الدوائر الخمس التقليدية التي اخترعها الخليل، ويمكن أن يردَّ هذا الوزن إلى البحر المقتضب))[33]، وتوصل إلى نتيجة عامة جاء فيها: ((فأبو العتاهية وإن كان قد خرج على الأبحر الخليلية المعروفة، إلا أن خروجه كان في إطار الدوائر الخمس التي وصفها الخليل، حيث كان يستعمل أحياناً البحور المهملة))[34] ، وهذا كلام دقيق.

ويقول الدكتور أحمد عبد الستار الجواري: ((فالوزن الذي وضعه أ ب..و العتاهية على غرار صوت المدقة، ونظم فيه قوله:

للمنونِ دائرا تٌ يدرنَ صرفَها

ليس إلا ضربا من مجزوء الرمل،

وكذلك قوله:

عتب ما للخيالِ خبّريني ومالي

إن هو إلا ضرب من مجزوء الخفيف))[35]،

ويضيف: ((أما البيتان اللذان ذكرهما المسعودي أن أبا العتاهية خرج فيهما عن العروض، وهما: **همُّ القاضي بيتٌ يطرب .....إلخ** فإنهما من البحر السادس عشر، الذي عرف بالمتدارك))[36].

المبحث الرابع

[33] العروض العربي ومحاولات التطوير والتجديد فيه، د. فوزي سعد عيسى، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1998م: 211

[34] المصدر نفسه: 211

[35] الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري، د. أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1991م: 312.

[36] المصدر نفسه: 312.

قصيدتان لأبي العتاهية في دائرة الخروج عن العروض

تحدث النقاد عن قصيدتين من قصائد أبي العتاهية، فقالوا عنهما إنهما من القصائد التي خرج فيهما أبو العتاهية عن العروض الخليلي، وهنا سنقوم بدراسة عروض هاتين القصيدتين:

1. قصيدة (الموتُ شغلُ كلِّ حيّ): تباينت الآراء بصدد وزن قصيدة أبي العتاهية التي عنوانها (الموت شغلُ كلِّ حيٍّ)، وتألفت من (14) بيتا، والتي مطلعها[37]:

اللهُ أعلى يداً وأكبر والحقُّ فيما قضى وقدَّر

فقد رأى الدكتور إبراهيم أنيس أنها نوع من المنسرح، وقال: ((جاء أبو العتاهية، وهو من ثار على قواعد العروضيين، بنوع من المنسرح، تنتهي كل أشطره بوزن (فَعِلن) بدلا من مستفعلن)) [38] أي كما هو واضح في التقطيع الشعري لمطلعها:

اَللاه أ ع . . . / . . .لَى يدَن و / أكْبر ولْحَقْ

فْ يْ . . . / . . .ما قَضَى و / قَدَدَرْ

مستفعلن/ مفعلات / فَعِلُن مستفعلن / مفعلات / فَعِلُن

وللمنسرح كما تذكره كتب العروض عروض مطوية ولها ضربان: مطوي ومقطوع[39]، أي أن مستفعلن تكون (مستعلن، أو مستفعل)، وقد أضاف هنا أبو العتاهية عروضا جديدة هي (فَعِلن) وضربها مثلها(فَعِلن)، بل يمكننا أن نقول إن مستفعلن قد حذف وتدها وبقي منها (مستف) التي تساوي (فَعِلن).

أما الدكتور عبد الله الغذامي فقد قال عن أبيات هذه القصيدة: ((ولنا أن نعدَّ هذه الأبيات من مخلع البسيط، فلا تكون مما جدَّده أبو العتاهية في البحر المنسرح))[40]، وهذا هو التقطيع الشعري لمطلع القصيدة التي نتحدث عنها والتي يجعلها من مخلع البسيط:

اَللاه أ ع . . . / . . .لَى يدَن / وأكْبر ولْحَقْ

فْ يْ . . . / . . .ما قَضَى / وقَدَدَرْ

مستفعلن/ فاعلن / فعولُن مستفعلن / فاعلن / فعولن

إنها إذن من مخلع البسيط، وليس من المنسرح في عروض وضرب جديدين.

أما (الموسوعة الشعرية/3) فقد عدَّت القصيدة من مجزوء البسيط، أي: مستفعلن فاعلن

مستفعلن، وهذا غير صحيح.

ولكي نضع النقاط على الحروف، نقول: إن قصيدة أبي العتاهية (الموتُ شغلُ كلِّ حيٍّ)، هي من مخلع البسيط تحديداً، وليس من المنسرح، ولا من

[37] ديوان أبي العتاهية: 198 ـ 199

[38] موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1965م: 98

[39] فن التقطيع الشعري والقافية: 154

[40] الصوت القديم الجديد، دراسات في الجذور العربية لموسيقى الشعر الحديث، د. عبد الله محمد الغذامي، سلسلة كتاب الرياض (66)، 1999م: 108.

مجزوء البسيط، وليس فيها أي خروج عن العروض الخليلي.

2 . قصيدة (العزُّ تقوى الله)[41]: وهي قصيدة من (8) أبيات، وليست (قطعة) من سبعة أبيات كما قال عنها الدكتور إبراهيم أنيس[42] ، التي أضاف: ((ومن خير الأمثلة التي توضح مخالفة أبي العتاهية لقواعد العروض قوله من بحر المنسرح:

مَنْ لَم يَعِظْهُ التَّجارِبُ والأدب لَـ . . . . .ـم يُثْنه شيبُهُ ولا الحقَبُ

يَـ . . . . . ـا أيُّها المُبتلى بهمَّته ألم ترَ الـ . . . . .ـدَّهر كيف ينقلب

مِنْ أيِّ خَلْقِ الإله يعجب مَنْ يَعْجَبُ والخلقُ كُلُّـ . . . . .ـه عجب))[43]

ويرى الدكتور أنيس أن هذه القصيدة ((قد اشتملت على عدة مخالفات عروضية، أظهرها ما في البيت الأول الذي لا ينسجم في وزنه مع باقي الأبيات))[44]، ولكي نتعرف على ما سماه بـ. (المخالفات العروضية)، لا بد من إجراء التقطيع العروضي للبيتين الأول والثاني، وكما يأتي:

مَنْ لَم يَعِظْهُ التَّجارِبُ والأدب

لَـ . . . . .ـم يُثْنه شيبُهُ ولا الحقَبُ

مَنْ لَم يَعِظْ / هُ تَجارِبُ/ ولأدب

لَـ . . . . .ـم يُثْنه / شيبه و / لَـ لْحقبو

مستفعلن / مفعولات / مستعلن مستفعلن / مفعلات / مستعلن

يَـ . . . . . ـا أيُّها المُبتلى بهمَّته ألم ترَ الـ . . . . .ـدَّهر كيف ينقلب

يَـ . . . . . ـا أيُّهَ لَـ . . /مبتلى بِـ . . / . .هِممتهي ألم ترَ دْ / دهرَ كيف / ينقلبو

مستفعلن / مفعلات / مستعلن متفعلن / مفعلات / مستعلن

وما يعدُّه الدكتور أنيس مخالفة عروضية هو مجيء التفعيلة الثانية في حشو صدر البيت الأول بصيغة (مفعولات) وليس بصيغة (مفعلات) التي جاءت بها في حشو عجز البيت، ونتوقف هنا لنشير إلى أن الدكتور صفاء خلوصي قد

قـ . . . . . .ـال عن البحر

المنسرح: ((وتكثر الزحافات في حشو

هـ . . . .ـذا البحر ولاسيما الخبن واللطي))[45]

أي: ليس هناك مخالفة في دخول لطي على تفعيلة (مفعولات) في حشو البيت، وفي الاتجاه

[41] ديوان أبي العتاهية: 57.

[42] ينظر: موسيقى الشعر: 193

[43] المصدر نفسه: 193.

[44] المصدر نفسه: 193

[45] فن التقطيع الشعري والقافية: 152

نفسه يقول الدكتور عبد العزيز عتيق وهو يتحدث عن لطي في بعض أنواع المنسرح:

((فإذا دخل لطيٌّ على تفعيلة عروضه وضربه التي هي (مستفعلن)، فإنها تصير (مستعلن)، وتُنقل إلى (مفتعلن)، وبذلك يصبح وزن هذا النوع من المنسرح كالآتي:

مستفعلن مفعولات مستعلن مستفعلن مفعولات مستعلن))[46]

وهو هنا تحدث عن لطي التي يمكن أن يدخل على العروض والضرب، ولم يذكر لطي التي يمكن أن يدخل على تفعيلة (مفعولات) في الحشو.

أما (الموسوعة الشعرية/3) فقد عدَّت قصيدة (العزُّ تقوى الله) من المنسرح، وهذا صحيح، وعموما يمكن القول إن أبا العتاهية لم يخرج هنا عن العروض الخليلي في هذه القصيدة.

الخاتمة

يمكن من مجمل ما تقدَّم، الخروج بالنتائج الآتية:

1. إن أبا العتاهية لم يخرج عن العروض العربي، فجميع الأبيات الشعرية التي قيل عنه إنه خرج فيها عن العروض كانت ملتزمة بالعروض الخليلي، ولم تحد عنه، كما أثبتنا ذلك تفصيلياً من خلال الكتابة العروضية لتلك الأبيات، والتقطيع الشعري لها، ثم التوصل إلى أوزانها التي هي أوزان خليلية لا غبار عليها.

2. إن عدد الأبيات التي كتبها أبو العتاهية والتي قيل عنه بسببها إنه خرج عن العروض العربي، هي (30) بيتا، وهذه الأبيات كما رأينا . . . . . القليلة لا تشكّل سوى ما نسبته (0.54 %) من المجموع الكلي للأبيات الشعرية التي كتبها أبو العتاهية، والتي ذكرنا أنها بلغت (5556) بيتا، إذن فإن تهويلا كبيرا قد شاب هذا الموضوع من دون تروٍ.

3. كان من الطبيعي أن يتَّهم أبو العتاهية بالخروج عن العروض حين كتب بيتين من الشعر باستخدام البحر (المتدارك)، وذلك لأن هذا البحر لم يكن معروفا في العصر العباسي، وهكذا تحوَّل من إبداع في العروض إلى خروج عنه، لسبب بسيط هو أن المتَّهمين يظنون أن كل من يكتب الشعر على وزن لم يكن قد استخدمه أحد من قبل خروج عن العروض العربي.

4. إن العروضيين لم يقوموا بواجبهم في التحقيق والتدقيق في الاتهام الذي وجِّه إلى أبي العتاهية، من أجل التوصل إلى الحقيقة ووضع النقاط على

[46] علم العروض والقافية، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1987م: 179.

الحروف، أما بعض النقاد فظلوا يكررون ما قاله اللاحقون عن السابقين، وما قاله السابقون عمَّن هم أسبق منهم، من دون تمحيص، وهكذا مرت قرون وقرون ظلت فيها تهمة الخروج عن العروض تلاحق أبا العتاهية بلا هوادة.

المصادر والمراجع

[1] الأدب العربي في العصر العباسي، د. نظم رشيد، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1986م.

[2] الأغاني، أبو فرج الأصبهاني، تحقيق: د. إحسان عباس، د. إبراهيم السعافين، والأستاذ بكر عباس، دار صادر، بيروت، ط3، 2008م.

[3] إنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة، الوزير جمال الدين أبو الحسن القفطي، تحقيق: محمد

[4] أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط1، 1986م.

[5] أهدى سبيل إلى علْمَي الخليل العروض والقافية، محمود مصطفى، شرح وتحقيق: سعيد محمد اللحام، عالم الكتاب، بيروت، لبنان، 1996م: 136.

[6] التمثيل والمحاضرة، أبو منصور عبد الله بن محمد الثعالبي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، 1983م: 186.

[7] ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1986م.

[8] رسالة الصاهل والشاحج، أبو العلاء المعري، ضمن مجموع، تحقيق: مدخل تاريخي وموضوعي، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف، مصر، ط2، 1984م.

[9] الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري، د. أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1991م.

[10] الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1983م.

[11] الصوت القديم الجديد، دراسات في الجذور العربية لموسيقى الشعر الحديث، د. عبد الله محمد الغذامي، سلسلة كتاب الرياض (66)، 1999م.

[12] طبقات الشعراء، ابن المعتز، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م.

[13] العروض العربي ومحاولات التطوير والتجديد فيه، د. فوزي سعد عيسى، دار المعرفة الجامعية،مصر، 1998م.

[14] العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهـ . . . . . رة، الطبعة السادسة عشرة، د.ت.

[15] علم العروض والقافية، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1987م.

[16] العيون الغامزة على خبايـ . . . . . ا الرامزة، بدر الدين الدماميني، تحقيق: الحساني حسن عبد الله مكتبة الخانجي بالقاهرة،ط2، 1994م: 206.

[17] فن التقطيع الشعري والقافية، د. صفاء خلوصي، منشورات مكتبـ . . . . ة المثنى ببغداد، الطبعة الخامسة منقحة ومزيدة، 1977م.

[18] المبهج في تفسير أسماء ديوان الحماسة، أبـ . . . . . و الفتح عثمان بن جني، دار الآفاق العربية، القاهرة،ط1، 2000م.

[19] معاهد التنصيص على شواهـ . . . . . د التلخيص، الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي، حققه وعلق على حواشيه وصنع فهارسـ . . . . . ه، محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة مروان العطية، عالم الكتب، بيروت، 1947م.

[20] الموسوعة الشعرية /3، وهي قرص مدمج صـ . . . . . در عن المجمع الثقافي في (أبو ظبي) بدولة الإمارات العربية المتحدة عام 2003م.

[21] موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،ط3، 1965م.

[22] ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، السيد أحمـ . . . . . د الهاشمي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2016م .

[23] الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار إحياء التراث العربـ . . . . ي، بيروت، لبنان، 2000م.

[24] الموسوعة الشعرية /3: وهي قرص مدمج صدر عن المجمع الثقافي في أبو ظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة عام 2003م.